جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت - كلية الآداب
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا / ماجستير

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

لأحمد بن محمد المقري التلمساني (١٠٤١ هـ)

إعداد :

ا. د : ياسر رشيد حمد

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦ م

مؤلف هذا الكتاب هو أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمقري المغربي المالكي الأشعري . وقد ولد بقرية مقرة من أعمال تلمسان . ونشأ في تلمسان وتلقى فيها العلوم منذ صباه .

ويقول صاحب كتاب : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر في التعريف بالمقري :

(حافظ المغرب ، جاحظ البيان ، ولم ير نظيره في جودة القريحة ، وصفاء الذهن ، وقوة البديهة ، وكان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث، ومعجزاً باهراً في الأدب والمحاضرات)

ومن أهم كتب المؤلف ، سوى كتاب : **نفح الطيب** ، ، كتاب : **أزهار الرياض ، في أخبار عياض** : - وعياض هذا هو القاضي المغربي عياض بن موسى بن عمران بن موسى اليحصبي.

وقد قام بيت المغرب بمصر بنشره . ثم كتاب : **إضاءة الدجنة** .. في عقائد أهل السنة وكتاب (**روض الآس ، العاطر الأنفاس ، في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس ، - ثم كتاب البدلة والنشأة ، وهو في الأهب والنظم**) .

وقد توفي المقري عام ١٠٤١ هـ ، ودفن بمصر بمقبرة المجاورين

وعنوان الكتاب : نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . . وهذه التسمية تشير إلى محتوى الكتاب ، فهو كتاب في تاريخ الأندلس وأدبائها الذين يخص منهم بالذكر والدراسة (لسان الدين بن الخطيب) . .

ويشرح للمقري الدافع الذي دفعه إلى تأليف كتابه ، والسبب في اتخاذ هذا العنوان له ، وذلك في مقدمته ، فيقول إنه كان في أثناء إقامته الطيبة في العشق يعقد المجالس الأدبية التي يتفرع فيها الكلام هم في شتى العلوم والمعارف .. ثم يقول مسترسلاً : و فينجر بنا الكلام ، والحديث شجون ... إلى ذكر البلاد الأندلسية ، ووصف رياضها السندسية .. فصرت أورد من بدائع بلغاتها ما يجري على لساني من الفيض الرحماني ، وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني إذ هو - أعني لسان الدين - فارس النظم والنثر ، في ذلك العصر فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم ، لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة إجماعهم

فطلب مني المولى أحمد الشاهيني إذ ذاك ، وهو الماجد المذكور ، ذو السعي المشكور ، أن أتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض أحواله وأنبائه وبدائعه .. وبعض ما له من النثار والنظام ، والمؤلفات الكبار العظام ، الرائعة للأبصار ... فأجبته .. بأن هذا الغرض غير سهل ، ولست ، علم الله ، له بأهل ، من جهات عديدة :

أولها : قصوري عن تحمل تلك الأعباء الشديدة : إذ لا يوفي بهذا الغرض إلا الماهر بطرق المعارف السديدة،

وثانيهما : عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام ، لأني خلفتها بالمغرب ، وأكثرها في المشرق كعنقاء مغرب .

وثالثها : شغل الخاطر بأشجان الغربة .

ثم يذكر المؤلف بعد ذلك نبذة عن حياة لسان الدين. وكيف أنه رب من أعداء المسلمين في الأندلس إلى تلمسان . يلتمس العون من سلطان بن قرين الذي وضع نفسه في خدمته . ولكن هذا السلطان توفي إثر ذلك مباشرة ، فرحل لسان الدين إلى فاس - حيث اغتيل على يد بعض أعدائه . ثم يعود بعد ذلك إلى موضوع تأليف الكتاب الذي طلب منه فيقول : : ثم إني لما تكرر علي في هذا الغرض الإلحاح .. عزمت على الإجابة لما للمذكور على من حقوق .. فوعدته بالشروع في الطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزية .

فلما فرغ المقري من كتابه أرسله إلى الشاهبي - فرد عليه برسالة يعرب فيها عن سعادته التي تجاوزت الحد برؤيته الكتاب ويمدحه بقصيدة في نهايتها ، وذكر له أنه كان يود أن تكتمل سعادته لو أن المؤلف قدم الكتابه بذكر الحلقة التي كان يجتمع فيها بالشاهيني ، وأن الشاهيني كان دافعه الأول إلى تأليف الكتاب .

وسعد المقري بهذا الإطراء، وحثه هذا على استكمال الكتاب ، وهو يقول في هذا : (وحصل التصميم على التكميل . والتأليف والتتميم ... فحدث لي بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الأندلس جملة ومن كان يعضد به الإسلام وينصر ... وكنت في المغرب وظلال الشباب ضافية معتنياً بالفحص من أنباء الأندلس، وأخبار أهلها التي تنشرح لها الصدور والأنفس، وما لهم من السبق في ميدان العلوم، والتقدم في جهاد العدو الظلوم، ومحاسن بلادهم حتى اقتنيت منها ذخائر، يرغب فيها الأفاضل الأخاير.

فلما حقق المقري ذلك كان يتحتم عليه أن يغير عنوان الكتاب، وكان قد سماه: (عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب). فلما أضاف إليه الجزء الخاص بالأندلس وتاريخها وعلمائها سماه: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب»..

ومعنى هذا أن الكتاب ينقسم إلى قسمين مستقلين. وهذا ما يعترف به المقري نفسه ويختص **القسم الأول** بالأندلس بوجه عام، وهو ينقسم بدوره إلى ثمانية أبواب: **الباب الأول** في طبيعة الأندلس وجغرافيتها، **والثاني** في فتح المسلمين للأندلس، **والثالث** في مكانة الدين الإسلامي فيها، **والرابع** في قرطبة **والخامس** في التعريف بمن رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق. **والسادس** في التعريف بمن وفد إلى الأندلس من علماء المشرق، **والسابع** و في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان، وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عز أو هان، والثامن في ذكر انتصار الأعداء على المسلمين بالجزيرة.

أما **القسم** الثاني فهو في التعريف بلسان الدين بن الخطيب، **وينقسم** كذلك إلى ثمانية أبواب. **والباب الأول** في نسبه، **والثاني** في نشأته وترقيه إلى أن أصبح وزيراً، **والثالث** في مشايخه، **والرابع** في مخاطبات الملوك والأكابر له، وثناء أهل عصره عليه، **والخامس** في إيراد جمل من أثره ونظمه، **والسادس** والسابع في ذكر بعض تلاميذه الآخذين عنه، **والثامن** في التعريف بمصنفاته وبمن ورث عنه العلم.

ومنهج كتاب «نفح الطيب»، على هذا النحو، يربط ربطاً وثيقاً بين البيئة والنتاج الأدبي والفكري. وهو يتسلسل ببحثه، في نطاق هذا المنهج، تسلسلاً علمياً منطقياً، فقد بدأ بالبحث في البيئة الطبيعية لبلاد الأندلس، ثم أتبع هذا بالبحث في البيئة السياسية والفكرية الجديدة التي طرأت على الأندلس بعد فتح العرب لها. ثم ينتقل من هذا البحث إلى الحديث عن النماذجالبشرية التي تعكس هذا النشاط الفكري والسياسي، ويقدم أمثلة لتوقدهم الذهني .

ثم خبت تلك الجذوة من النشاط الثقافي والفكري ، كما يحدث دائماً في كل الحضارات بعد أن تصل إلى أوج ازدهارها بأفول نجم العرب في الأندلس. ولهذا فقد ختم المؤلف القسم الأول من كتابه بقصة هذا الأفول .

ولم يكن لسان الدين بن الخطيب سوى ثمرة من ثمار هذه البيئة ، وهذا فقد أفرد له المؤلف القسم الثاني من كتابه . حقاً إنه كان قد بدأ بكتابة هذا القسم على أساس أنه يؤلف كتاباً مستقلاً عن لسان الدين بن الخطيب ، ولكنه ما لبث أن أدرك بحسه العلمي أن الأديب لا ينفصل عن بيئته الطبيعية والسياسية والفكرية ، ولهذا فقد استكمل بحثه بالقسم الأول الذي يعد : في الحقيقة المبحث الأساسي الممهد للقسم الثاني الخاص بابن الخطيب ، ومن ثم يمكننا أن نقول إن إضافة القسم الأول إلى الكتاب، لا تعد من قبيل الاستطراد ، كما يزعم بعض الدارسين - بل هو جزء أساسي ، شرع الكاتب مؤخراً في تأليفه حتى يكون بعله في لسان الدين بن الخطيب ، بوصفه ثمرة من ثمار البيئة العربية الأقدامية ، متكاملاً ...

على أن المقري لا يعد في الحقيقة أول رائد في هذا الاتجاه ، فقد سبقه في ذلك التعالي في يتيمته . ويعد التعالي حقاً أول دارس عربي قديم ربط بين الشعراء وبيئتهم . وقد تبعه في ذلك وأقر بفضله ، علي بن بسام الأندلسي وذلك في كتابه والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

وإذا كان المقري قد حذا حدهما في هذا الاتجاه في المتأليف ، فإن هذا . يعني ان هذا المنهج ، منهج الربط بين الأديب وبيئته ، كان قد استقر في أذهان الكتاب العرب، قبل أن ينادي به الناقد الفرنسي و تين ، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

وقد طبع ونفح الطيب ، بمطبعة بولاق بمصر في سنة ١٢٧٩ هـ طبع بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ . ثم طبع القسم الأول من الكتاب طبعة أوروبية في ليدن سنة ١٨٥٥ م .

وثمة طبعة صدرت في عشرة أجزاء في عام ١٩٤٩ بمصر ، قام محيي الدين عبد الحميد بتحقيقها . وآخر طبعة صدرت للكتاب حققها إحسان عباس . وقد نشرت ببيروت في ثمانية مجلدات ، وهي تحتوي على عدد من الفهارس .